اعدت كل السلاطين الأُلى سلفوا ... بكل ما نطقوا حقاً وما فعلوا
اهديتني الرتبة الاولى فسدت بها ... حتى غدا من علاها بعدي الاول
وما الكرامة انساب مكرمة ... ولو تكون فلي مهما نأت سبل
بل الكرامة ما تسمو به وكفى ... علم يزينه في ملكك العمل
غدت عطاياك عندي وهي نازلة ... بحيث تستحسن العليا وتقتبل
وقد تكون وما ترضى غضاضتها ... بحيث يحملها من ليس يحتمل
لله دولتك الغراء جامعة ... من المآثر ما لا تجمع الدول
بدت لنا بالمساعي منك عامرة ... فما يلوح بها رسم ولا طلل
بها اعزُّ ومنها اعتلي ولها ... ارجو البقا وعليها الدهر اتكل
عبد الحميد حمدنا الدهر منك فما ... همّ يصاحبنا منه ولا وجل
زهت بايامك الايام واعتدلت ... وقد حلت مثل ما يحلو لنا العسل
مرت علينا كما مر السحاب على ... روض وطابت كما طابت لنا الاصل
تأتي بما لم نؤمله معجله ... فما يسابقها وعد ولا امل
مكارم لبني عثمان باقية ... على المدى ومع الادهار تنتقل
وانت تبدع فيها كلما وجبت ... فليس منها لما قد فاتها مثل
وقد اكون ومن نعماك لي مثل ... فما اقول الذي قالوا او ارتجلوا
واحسن المجد مجد جاء مبتدعاً ... واحسن الشعر شعر ليس ينتحل
اليكها قد كست جدواك صفحتها ... ماليس يكسو العذارى الدل والحجل
لو لم تكن بسواد الحبر احرفها ... مكتوبة لمحت ابياتها القبل
تظل في الناس مع نعماك باقية ... فما تمر على قوم فترتحل

محتملات العلم

العلم منبع الخير ومعدن الرفق والرحمة وهو مخصوص على الغالب باولي الاخلاق الطيبة والسجايا الطاهرة او هو نفسه الذي ولد هذه الاخلاق فيهم ولولا ان يكون ذلك كذلك لكان العلم آلة الشر ورسول الشيطان بل هو يكون على هذه الصفة اذا شذَّ عن قياسه وصحب اولي الشر والفساد فيكون عدة لاذاهم ووسيلة يستقربون بها كل بعيد بغير حق ولهذا قاست الدنيا من اولي العلم الاشرار اضعاف ما قاسته من جهلائها الضارين لنفوسهم ولسواهم حتى صار يقال بسببهم ان بقاء الجهالة كان اولى بالناس وارحم لهم لان الجاهل لا يتعدى اذاه الى اكثر من اسرته ومجاوريه على خلاف العالم الشرير فانه يستطيع اذية مملكة بجملتها بما يدبره حذقه من المكايد ويولده له علمه من اساليب الاذى كما بدا من نابوليون وامثاله ممن ابعد العلم آمالهم واكثر مطامعهم فصاروا يقتادون الصفوف بعلمهم ومهارتهم ثم يقذفون بها في تهاوي الهلاك بحيث انه لم تكن تبدو منهم حسنة في سبيل العلم الحقيقي حتى تكون قد بدت سيئات . والعياذ بالله من العلم اذا اقترن بارادة الشر وقصد الاذية

على ان الله يأبى ان يجعل علمه سبباً للشر بين عباده ولذلك يهبه على الغالب الى من يصطفيهم من ابنائه الطيبين الذين يؤذون انفسهم في سبيل نفع سواهم ويفتقرون ليغتني غيرهم كما بدا ذلك من المخترعين والمكتشفين الذين رأوا الموت الوانا وذاقوا العذاب اشكالاً في سبيل نشر علومهم وبسط

آرائهم واختراعاتهم بل ان كثيرين منهم قد وردوا منايام من اجل نفع الناس فكانت ارواحهم القليلة سبباً لحياة الوف والوف من هذه الارواح البشرية والحيوانية ايضاً ولم يكن جزاؤهم من كل هذا الا الذكر الدائم والثواب الشامل

ولقد عقدت احدى الصحائف فصلاً عن محتملات العلم لو كان رجاله من ارباب الشر ومريدي الضرر فقالت ان من احسن ما قرره الله لعباده من محاسن الحظوظ ان يكون اكثر علمائهم ممن يجرون على مشيئته ويأتمرون باوامره فلا يستخدمون علمهم الا في سبيل النفع المحض والخير الخالص مع انهم لو كانوا من مريدي الشر لملأوا الارض صراخاً وافنوا اهلها امراضاً وقتلاً

ولقد ضربت على ذلك بعض امثلة من العلماء فقالت انه لو كان مستنبط الهواء السائل من رجال الفوضى المغروس في نفوسهم حب التدمير لكان قد اختص باستنباطه نفسه دون سواه وكتم علمه عن غيره فاضر بمن لا يحصون من البشر وذلك بان يعمد الى اناء ضخم صليب فيملأه من ذاك الهواء ثم يتركه حيث يريد الاذى فلا يلبث ان يتجدد راجعاً الى حالته الاولى وعند ذلك يكون فعله اشد من الديناميت جداً اذ يبلغ ضغطه مقدار اثنتي عشرة الف ليبرة على العقدة المكعبة من ذاك الاناء وعندذلك ينفجر انفجاراً هائلا وتتطاير شظاياه الوفاً جارفة في وجهها كل ماتلاقيه الى بعد آلاف من الامتار وحسبك بهذا ضرراً ربما يكون هدم حي بجملته على من فيه او قرية باسرها دون ان يكون على المستنبط ادنى حرج لانه يكون مجهولاً كاكتشافه على خلاف الذي يستعمل مواد الاذى المعلومة فانه لا يستطيع ذلك الا على خطر

شديد على نفسه لان الحكومات تحتاط لامثال هذه البوادر فتضيق عليها دائرة الانتشار بين الجميع فضلاً عن ان المؤذي اذا عرف انه سيموت بموت الوف معه عدل عن قصده لان حياته لديه تسوى جميع الناس

ثم اشارت الى ماركوني صاحب التلغراف بلا سلك فقالت ان هذا الشاب لو كان من اولي المطامع والراغبين في نفع نفوسهم من ضرر غيرهم لامكنه ان يكتم اختراعه ويجعله مخصوصاً به وبمن يصطفيهم من امثاله ثم يسرق اخبار الدنيا كلها ولاسيما اثناء الحروب حيث لا يكون الاخبار بالسلك ميسوراً وسريعاً في كل حين وبذلك يكتسب ملايين الاموال من اختلاف اسعار الاسهم المالية وسواها من اسعار المحصولات . ولكن الله قد خص هذا الفاضل بالانسانية فاظهر اكتشافه في الحال واطلق الانتفاع به على الجميع مع انه لو استعمله في حرب الترنسفال مثلاً لامكنه ان يستفيد به مالا يحصى من الاموال

وقد جرى مجراه رجل في انكلترا تمكن من تقليد نقود الورق تقليداً تاماً بما أوتيه من شدة الذكاء ولكنه كان عالم خير فما اراد الانتفاع بما علم بل ذهب الى مصرف انكلترا واراه طريقة التقليد حتى لا ينخدع لو توصل غيره الى تلك الطريقة وبذلك كان ناشراً لحالة علم خفية ومانعاً ضرراً عظيما عن اعظم مصرف في العالم مع انه لو استعمل هذا الغش يوماً فانه يصبح صاحب ملايين

وقد توصل عالمان خطيران الى صنع فرن ذي حرارة تبلغ ٣٦٠٠ درجة وجربا فيه تقليد الطبيعة في تكوينها للحجارة الكريمة فنجحا في ذلك نجاحاً باهراً حتى ان بعض تلك الجواهر لم تكن تفرق عن الطبيعية لدى امهر النقاد

ولكنهما لم يلبثا ان اظهرا طريقتهما العجيبة للجميع مع انهما لو ارادا بها خديعة الناس لباعا من تلك الحجارة بملايين قبل ان يستطيع الناس معرفة الحقيقة

على ان هذه الاخلاق الطيبة التي ساعدت من ذكرناهم من المخترعين ومن لم نذكرهم لطول حديثهم لا تكاد تذكر بشيء لدى الاطباء من مكتشفي الجراثيم فانهم لو كانوا من رجال الشر والتدمير لامكنهم بما لديهم من الجراثيم المرضية التي يربونها ان يطلقوا جرثومة الهواء الاصفر في انهر بلادهم فلا يلبث ان ينثر الناس بالالوف وينثر في اثرهم ملايين الجنيهات في سبيل مقاومته وتحمل عواديه ولكنهم كانوا رجال رحمة وحرص شديدين حتى ان ارباب الشر الحقيقيين من الجهلاء لم يستطيعوا القاء ادنى مقدار من الجراثيم في نهر ليعدوا الناس او يقتلوا الجنود حين الحرب مع انهم حاولوا ذلك كثيراً ولم يكن الفضل في هذا الا لرجال العلم الذين يحرصون على كل جرثومة حرصهم على اثمن الاعلاق ولذلك يندر جداً ان يصاب احد من معاونيهم لفرط انتباههم وتيقظهم وما اودع في نفوسهم من محبة الناس والحذر عليهم

ولقد يكون رجال الحكم ايضاً من الذاهبين في هذا المذهب فان القابضين على اعنة النيل عندنا والعارفين بمقادير مياهه وتأثيرها في الري يستطيعون ان ينالوا من نشراتهم التي يصدرونها عنه اموالاً طائلة تأتي من خزائن غيرهم وذلك بالاعتماد عليها من طريق المراهنة قبل نشرها على الناس وتساوي المعرفة بها وهذا ولا شك فضل كبير لهم يدل على نزاهتهم ودخولهم في مصاف اهل العلم المنزهين عن زخارف الدنيا واباطيلها

وعلى الاجمال فانه قد كان من حسن حظ الدنيا ان اكثر علمائها من اصحاب الرحمة والقناعة فاضروا نفوسهم في سبيل نفع سواهم او اقتسموا منافع ما عملوا

قسمة عادلة مع سائر الناس ولكن العلماء بمجموعهم لا يعدون ارباب خير محض لان بعضاً منهم تتغلب نفوسهم الشريرة على محاسن عقولهم فتقودها الى شر ما بعده شر وذلك لان العلم شيء والعواطف شيء آخر كما يبدو من بخل بعض العلماء فان ذلك يعد ضرراً منهم ومنافياً للخطط التي يسيرون الناس عليها فكأنهم يريدونها لغيرهم ولا يريدونها لنفوسهم وهو ما لا يخلو من بعض الفضل لهم من جهة كرمهم بالعلم وان بخلوا بالمال

وقد كتب المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة مقالة سابقة في هذا المعنى جاء فيها بشهادات كثيرة تدل على ان فضل الانسان لا يتم بعلمه فقط بل لا بد له لكي يكون تاماً ان يكون امينا صادقا مستجمعاً لمطالب الانسانية والرفق بالناس وقد ضرب لذلك مثلاً احد رجال اميركا العظام الذي خان بلاده واذاها فانه ذكر عنه انه كان اعظم شرير في الولايات المتحدة وقد سبب لها ما لا يحتمل من الاضرار ولكنه اعترف له مع ذلك انه كان اتم الاميركان عقلاً واوسعهم اطلاعاً واشدهم بكل حالة الماماً الا ان كل هذه المحاسن التي كانت فيه قد عدت له عيوباً حتى تبعته لعنة الناس الى الابد وهو لا يزال مذكوراً في التاريخ باقبح ما يذكر انسان . ثم قال هذا الرئيس الفاضل ان الانسان الرحيم لا يعد مستحقاً للثناء الا اذا كانت رحمته شاملة سواه مباشرة بنفسه دون علمه فيكون عالماً بالرحمة وفاعلاً لها لان كثيرين من العلماء اذا قرأت اقوالهم وجدت ملأها الرفق والعدالة والاشفاق ولكنك حين تنظر الى اعمالهم لا تجدها مبنية على شيء من ذلك بل تراهم كذابين منافقين يستحلون اعظم المحارم . ثم قال ان الفاضل الحقيقي لا يجب ان يعتد بوطن او دين او جنس ولا ان تكون له جهة خاصة ينظر اليها

بل يجب عليه ان يحسن الى الناس جميعهم دون تمييز على الاطلاق وان يطلق علمه وفضله في سبيل منفعة الجمهور وبذلك يكون انساناً تاماً اذا اطلق عليه لقب العلم لم يجد من ينازعه واذا اطلق عليه لقب الحكم لم يكن من ينتقصه

عبرة حادثة

وهي تتضمن ذكر حادثة الملك اسكندر والملكة دراجا زوجته اللذين ثار عليهما رؤساء الجيش السربي

لم اجد مثله محباً اساء ... جلب البغض حبه والعداء
ملك كان للهوى عبد رق ... يتولاه فاعلاً ما شاء
جعل الملك خاتماً اوسواراً ... في يدي زوجة له حسناء
ملكت قلبه وعرشاً شقياً ... لم يجد بين اهله اكفاء
خادم رأسها تحمل تاجاً ... فهوى التاج عزة واباء
وارتفاع الوضيع من غير حق ... لهو الرزء يجلب الارزاء
ثم قامت تريد ان يرث التاج ... اخوها تحكماً واعتداء
فنما في البلاد حزب انوف ... لم يشأ ان يسوّد الخدماء
قال هبوا بنا فقد آن ان يضعف ملك يظنكم ضعفاء
علموا المستبد ان الرعايا ... تحسب الناس والملوك سواء
فاذا اصلحوا فذلك عدل ... واذا افسدوا استحقوا الجزاء
واتوا قصره وقد بسط الليل ... عليه سحابة سوداء

وسكون الدجى يقول هلموا ... لاتخافوا في الارض من رقباء
غفلت عنكم العيون لاني ... قد جعلت الكرى عليها غشاء
فلقوه وقد خلا بالتي جر ... هواها عليه ذاك البلاء
قال صدري اليكم فاقتلوني ... ودعوني اموت عنها فداء
فاستخفوا به وساموه امرين ... طلاقا لها او استعفاء
او فهم جاءلوه عبرة قوم ... حكموا في السياسة الاهواء
فابى ان يذل من بعد عز ... وابى الحب منه الا وفاء
والهوى يوهن العزائم حتى ... ينبذ المجد اهله والعلاء
فقضى العاشقان قتلاً ومن لم ... يرحم الناس لم يجد رحماء

* * *

قل لبعض الملوك رفقاً وعدلا ... قبل ان تسفك الدماء دماء
ذهب اليوم يوم كانت ملوك ... الارض فيها اربابها الاقوياء
وقضى العدل فيهم للرعايا ... ان يصيروا خدامها الامناء
ملك السرب مات قتلا وامسى ... قاتلوه بقتله احياء
ضل من يحسب الرجال ارقاء ... ومن يحسب النساء اماء
لم يجر سيد ولا ساد الا ... بين قوم لا يعرفون اجتراء